خلال العدوان الإسرائيلي هتفت «وينك يا انسان وينك يا حضارة»

باسكال مشعلاني: الاسرائيليون هم الارهابيون وليس نحن

بيروت ـ «القدس العربي» ـ من زهرة مرعي:

خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان هتفت باسكال مشعلاني «وينك يا إنسان وينك يا حضارة» إستنكاراً لصمت العالم على الجريمة المتمادية التي تعرض لها الشعب اللبناني. وبعد أشهر من عودة السلام غنت «أرضك هون» لتحث الشباب على التمسك بأرضهم وعدم الهجرة. الأغنية الوطنية الناجحة بمفهومها هي تاج يجلل به جبين الفنان. باسكال مشعلاني وبعد حفلات عيد الفطر الناجحة تعمل على إختيار أغنيات شريطها الغنائي الجديد ليكون جاهزاً في بداية الربيع. معها كان هذا الحوار:

■ لم يكن صيفاً عادياً بفعل العدوان الإسرائيلي فكيف إنعكس عليك هذا الواقع؟

■ **في البداية كنت في حال من الصدمة. نحن جيل ولد وكبر في الحروب وما أن نعمنا قليلاً بالسلام والإعمار والإزدهار حتى كان هذا العدوان الهمجي الذي طال كل الوطن. في الأسبوع الأول كنت في حال من الذهول وعدم التصديق نظراً لهول ما يجري. وإبتداء من الأسبوع الثاني تجندت لزيارة النازحين في المدارس والمساعدة في تأمين إحتياجاتهم. وجدت أهمية كبرى لأن يكون أحدنا في وطنه وهو يتعرض لهذا الإعتداء الهمجي.**

■ لماذا إبتعدت عن الكاميرات خلال تواصلك مع النازحين؟

■ **يقول الإنجيل المقدس أن ما تقدمه يد من المساعدة للمحتاج يجب أن لا تعرف به اليد الثانية. لكن يوم 14 آب (أغسطس) حين بدأ النازحون عودتهم الجماعية إلى الجنوب قصدتهم بهدف وداعهم منذ الصباح الباكر وقد رافقتني الكاميرات بناء لطلب الإعلام.**

■ هل لك موقف من هذه الحرب؟

■ **أكيد وأقول علناً بأني ضد إسرائيل وكل ما تقوم به في لبنان وفلسطين. إنها دولة مجرمة تقتل المدنيين دون أدنى شعور بالذنب. اليهود صلبوا السيد المسيح ويتابعون الآن إجرامهم بحق الشعبين اللبناني والفلسطيني. أنا ضد الإرهاب الذي تقوم به تلك الدولة، هم الإرهابيون ولسنا نحن، نحن موجودون في أرضنا ولم نحتل أرض الغير. لقد قلت في أغنيتي "وينك يا إنسان وينك ياحضارة" فقد تساءلت عن حضارة الغرب الذي تفرج علينا ونحن نباد ونقطع إرباً ولم يحرك ساكناً.**

■ قدمت الأغنية الوطنية خلال العدوان وبعده فما هي أبعاد أغنية «أرضك هون» بالنسبة لك؟

■ **أردت هذه الأغنية لحث الشعب اللبناني والشعوب العربية على التمسك بأرضها وعدم التفكير بالهجرة كلما واجهتهم المصاعب. أعرف أننا كشعوب عربية وخاصة في لبنان نعيش على الدوام ترددات وجود دولة إسرائيل بجوارنا وندفع أثماناً غالية لكن علينا بالصبر والإيمان والمقاومة والتمسك بالأرض. وهذه الأغنية تؤكد أهمية تراب الوطن وضرورة الإلتصاق به.**

■ ما رأيك بالأغنيات الوطنية التي ظهرت خلال العداون؟

■ **تابعتها جميعها تقريباً ولست مع من ينتقدها. كل إنسان يقوم بدوره أثناء المحن، ولتحل في الإذاعات والتلفزيونات ثورة من الغناء الوطني. وفي كل الأحوال هناك غناء وطني سيبقى راسخاً في الأذهان خاصة أغنية جوليا «يا جنوب»، وأغنية ماجدة الرومي «يا ست الدنيا يا بيروت»، من غير المقبول أن لاتكون في مسيرة الفنان أغنية وطنية. في وقفات العز يشعر أحدنا أنه من خلال أغنية وطنية ناجحة يكل بتاج له مذاق مختلف عن كل تاريخه الفني. وهو يتلقى التهاني من كل الدول فلسطين، الأردن، ليبيا وغيرها. عندما تم بث أغنيتي «وينك يا إنسان» لم يتوقف هاتفي عن الرنين.**

■ لماذا قررت إصدار أغنية منفردة وليس شريطاً هذا الصيف؟

■ **ليس لديّ تفسيراً لإحساسي، فعندما كنت في كندا لمدة شهرين شعرت بنجاح سي دي «أكبر كذبة» الذي صورت منه أربع أغنيات، فقررت تقديم أغنية منفردة فقط والتفرغ لحفلات الصيف على أن ينزل السي دي الجديد بين عيدي الفطر والأضحى.**

■ ما هو تعريفك للتجدد الفني الذي يبحث عنه كل فنان؟

■ **التجدد هو في الكلمة واللحن والإمكانات الجديدة التي يتيحها للصوت. في «وينك يا إنسان» يدرك كل من يعرف تكنيك الغناء بأني قدمت جديداً من خلال صوتي الذي تنوع بين القرار والجواب. ومن ثم يأتي التجديد في الفيديو كليب ويليه التجدد في شكل الفنان من دون أن يلغي ذاته.**

■ هل تجدين ما يقنعك بسهولة؟

■ **لنطرق على الخشب فهذا ما أصادفه. ليس من السهل أن أتمكن من الحفاظ على مسيرة باسكال مشعلاني من دون أن تسقط في هبوط أو ما شابه. إنه توفيق من الله الذي منّ عليّ بالتفكير الصحيح.**

■ أين أنت من الأغنية الخليجية؟

■ **أعشقها. في السي دي الذي أعده أغنية خليجية جميلة وأخرى ما زلت بصدد دراستها. وقد وعدت جمهوري بتصوير أغنية خليجية وذلك سيتم في إطار مشهدي خليجي وفي الخليج بالتحديد. منذ غنيت «حبيب قلبي» و«سماح» و«دقدق» وغيرها والكل يطلب مني تصوير أغنية خليجية جديدة. لذلك تصوير الأغنية المقبلة سيكون هدية لجمهوري في الخليج إذا كانت الأيام تسمح لنا بذلك.**

■ هل من السهل إختيار لحن خليجي بالنسبة لك؟

■ **ليس بالسهولة التي أجدها في الأغنية اللبنانية والمصرية. والسبب أنه ليس لوني الأساسي، وبحثي هو عن أغنية تتكامل معي في كل مراحلها وأن تكون مميزة بحيث تصل للجمهور وهي في غاية الأتقان. غنيت بالتونسي والمغربي وحصدت النجاح وهذا ما أطلبه أيضاً من الأغنية الخليجية.**

■ ما رأيك بمن يغني الخليجي مسايرة للجمهور؟

■ **لست في وارد المسايرات بل أبحث عن أغنية تحقق النجاح في كل الوطن العربي.**

■ هل تهتمين بالفن التشكيلي؟ وهل لديك لوحات في منزلك؟

■ **الآن أعمل لتجهيز منزلي الجبلي وبدأت بشراء ما يحتاجه إنطلاقاً من عشقي لمزج الألوان وتنسيق الزينة بما فيها اللوحات على الجدران. لدي لوحات من كل أنحاء العالم وخاصة من الخليج. وأميل إلى اللوحات التي تتضمن بشراً.**

■ هل أنت مغرمة بالمجوهرات؟

■ **كثيراً جداً، أحب الساعات والأقراط والخواتم وأرفض المجوهرات المزيفة مهما كان نوعها. أحياناً أطلب ما أريد أو أختار من الواجهات. ولاحقاً أعمل لتبديل بعض ما أقتنيه.**

■ هل لديك مكتبة في منزلك؟

■ **أكيد وهي تتضمن مجموعات لمخائيل نعيمة، طه حسين، جبران خليل جبران، ألف ليلة وليلة، الموسوعة العربية، كتب فكرية وأخرى عن الحرب اللبنانية، وكتاب عن تاريخ عائلة المشعلاني والكثير غيرها.**

■ وآخر كتاب قرأته؟

■ **الكتاب الذي بين يدي هو لباولو كوللو.**

■ وأين أنت من السينما؟

■ **أقصد السينما في الشتاء على الدوام، وأستعيض عنها صيفاً بالدي في دي. السينما عالم خاص ندخله ونسافر معه إلى عالم جديد. إنها ثقافة ومعرفة وتطلعات مستقبلية.**

باسكال مشعلاني (القدس العربي)

يغيب عن الشاشة بسبب كسر مضاعف في ذراعه ويسجل مذكراته على شرائط كاسيت بصوته

كمال الشناوي: أتعامل مع الفن بروح الهواية، ومع أدواري بالإبداع وليس بالكلام!

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من عمر صادق:

على غير العادة يغيب النجم الكبير كمال الشناوي هذا العام عن شاشة التليفزيون بسبب كسر مضاعف في يده اليمنى اثر انزلاق مفاجيء في حمام منزله، انتهز الفنان الكبير هذا الغياب وقام بتسجيل ذكرياته ومذكراته على شرائط كاسيت بصوته تتناول مشوار حياته منذ الطفولة مرورا بأفلامه التي قدمها في مقتبل شبابه وأعماله الدرامية التليفزيونية الحالية.

يقول الشناوي: لم أستقر حتى اللحظة على مصير هذه التسجيلات التي سجلتها منذ فترة قصيرة على شكل ظهورها في كتاب أو مسلسل درامي وأنا شخصيا لا أمانع من تقديمها في أي صورة المهم أن تظهر للنور ويراها المشاهدون لأن فيها قصة حياة إنسان قبل أن يعتلي عرض النجومية.

ويضيف: بدأ ابني محمد الشناوي اخراج فيلم سينمائي وعرض علي الظهور كضيف شرف ولم أقرر حتى هذه اللحظة رأيي النهائي خاصة انني مصاب وألزم البيت.

■ هل تابعت أعمال رمضان الدرامية، وماذا لفت نظرك فيها؟

■ **ق بالتأكيد بحكم اصابتي تمكنت من مشاهدة معظم الأعمال على الشاشة وتابعتها بعين المشاهد العادي وليس بعين النقاد، وقد راعى انتباهي أكثر من عمل فني على مستوى راق جدا مثل مسلسل «الجبل» بطولة محمد رياض ودواليا مصطفى وبثينة رشوان، ولفت نظري موضوع المسلسل الذي يتناوله المخرج إبراهيم الشوادفي، كما أعجبني مسلسل «درب الطيب» بطولة هشام سليم ومحمود الجندي وأيضا مسلسل «نور الصباح» بطولة ليلى علوي برغم الزوبعة التي اثارها من جانب المرشدين السياحيين وأرى أنه عمل محترم يستحق التقدير.**

■ وهل تابعت الانتاج السينمائي الجديد في دور العرض؟

■ **أنا لا أخرج كثيرا بسبب إصابة يدي إلا للضرورة، وبصراحة شديدة أنا أقاطع السينما الحالية ولي تحفظات عديدة عليها.**

■ ما هي هذه التحفظات؟

■ **السينما اليوم تعتمد على إفيهات ونكات والسينما الحقيقية ليست كذلك لأنها في الأصل صناعة محترمة قامت على أعناق جيل الأوائل ذلك الجيل الذي لا يعرف الفارق بين المليم والجنيه ولا يكترث بان تمتليء جيوبه بالمال أو كانت خاوية، المهم عنده أن يقدم فنا نظيفا وثمينا له قيمته وليس هذا الهراء والاستخفاف بعقول الناس.**

■ لكن ظهرت مؤخرا موجة جديدة من الأعمال السينمائية التي تستحق التحية والاحترام؟

■ **أنا أتعاطف مع التجارب الجيدة والجادة وبالتأكيد هناك أعمال تستحق المشاهدة وأن نشيد بها لأنها من الممكن أن تكون نقطة تحول وقفزة نوعية نحو سينما محترمة ومتألقة، وأنا بالفعل شاهدت تجربتين منذ 3 سنوات هما «سهر الليالي» و«بحب السينما» ولكني استثني هاتين التجربتين من الهراء والسخف الذي صاحب السينما في السنوات الأخيرة وأعتبرهما امتدادا للعصر الذهبي للسينما المصرية الكلاسيكية.**

■ لماذا لم يظهر حتى الآن بين جيل الشباب فنان في حجم وعطاء وامكانيات كمال الشناوي وما السبب؟

■ **لأن الظروف كلها تغيرت وبالتالي اختلف ايقاع السينما، ومواصفات ومعايير الجيل الحالي لابد أن تختلف عن جيلنا لأن كل عصر وله ظروفه ولا يوجد شبيه لأحد.**

■ ومن يلفت نظرك من جيل الشباب؟

■ **هادي الجيار رغم انه ليس من الجيل الحالي وأحس دائما أن أدائه جميل وفيه رشاقة تختلف عن أبناء جيله.**

■ هل فكرت في الاعتزال؟

■ **أنا أعمل بنصيحة «جيمس واطسون» العالم الحائز على جائزة نوبل في الآداب حين قال قولته الشهيرة «لا تتقاعد، عقلك في حاجة إلى ممارسة وإلا سيضمر، ومن هنا لا أرى سببا واحدا يجعلني أفكر في الاعتزال طالما انني قارد على العطاء حتى النفس الأخير.**

■ تعتب على السينما الحالية بإنها تحولت إلى افيهات ونكات، رغم أن الافيهات والنكات من صميم الدراما الكوميدية؟

■ **السينما التي تأخذ من النكت والافيهات منهجا لها على حساب المضمون لا تستحق أن نطلق عليها لفظ سينما لأن السينما من وجهة النظر المتعارف عليها ولن أقول وجهة نظري أنا الشخصية هي التي تخاطب الوجدان وتثير حالة من الدهشة بين الناس وتناقش قضايا فارقة، أما النكت فمكانها جلسة فرفشة على المقاهي والكافيتريات بين الأصدقاء.**

■ كنت من المعارضين لكتابة مشوار حياتك وأنت تفعل الآن؟

■ **أنا لست ضد أن يقوم الفنان بتسجيل مذكراته، ولكن ضد أن يقوم فنان ليس له تاريخ ولا أدوار بتسجيل مشواره ويتعامل مع الواقع على انه نجم النجوم ويقوم بتشويه الحقائق فمثل هذا الفنان يكذب ويحاول أن يتجمل بأي صورة من أجل أن تظهر صورته في نظر الجمهور في أحلى شكل، أنا ضد هذا التوجه لأنني ضد خداع النفس بشكل عام.**

■ ماهي أبرز النقاط التي قمت بتسجيلها في مذكراتك الصوتية، وأهم المحطات فيها؟

■ **من بداية المشوار وبالتحديد منذ فترة الطفولة وأحلامها، وأمنية عمري أن أكون فنانا، حتى التحقت بكلية الفنون الجميلة وظل هذا الحلم يراودني كل حين إلى أن تحققت الأمنية، التسجيلات أيضا تحتوي على محطاتي الفنية في بداياتي السينمائية وأهم أفلامي التي قدمتها والنجوم والنجمات الذين شاركوني هذه الرحلة الجميلة حتى المحطة النهائية وهي انتقالي إلى عالم التليفزيون.**

■ هل هناك أسرار خاصة في هذه الرحلة؟

■ **لا توجد عندي أسرار، فأنا مثل الكتاب المفتوح تستطيع أن تقرأه دون خجل أو خوف، ومشواري الفني جدير بالاهتمام لأن هناك علامات تستحق التقدير والوقوف أمامها طويلا.**

■ النجم الكبير كمال الشناوي كيف حافظت على تألقك رغم مرور 50 عاما من العطاء؟

■ **سر الخلطة انني ما زلت أتعامل مع الفن بروح الهواية وليس الاحتراف، وأتعامل مع أدواري بالإبداع وليس بالكلام وهناك فارق كبير بين الاثنين.**

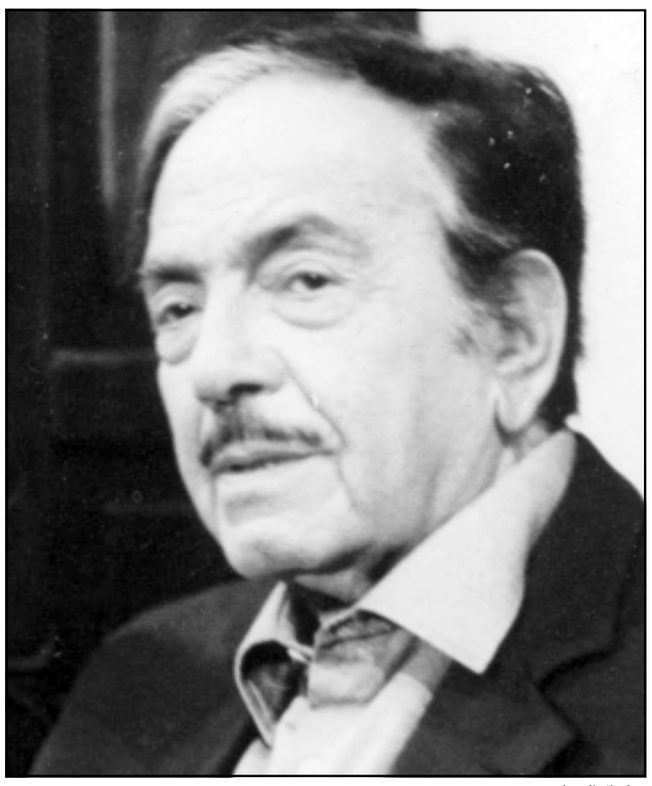

كمال الشناوي

برنامج «غيرلي حياتي» يعزز قيم العمل الإنسانية والاجتماعية في تلفزيون دبي

دبي ـ «القدس العربي» ـ من احمد جمال المجايدة:

في إطار توجهاته لمعالجة القضايا الإنسانية، والتزامه بالقيم الاجتماعية، أطلق تلفزيون دبي مؤخراً برنامج بعنوان «غيرلي حياتي»، الذي يخاطب فئة خاصة من المجتمع ممن تعرضوا لحوادث أدت إلى تغيير مظهرهم الخارجي، وحدوث تشوهات جسدية أدت إلى عرقلة انخراطهم في مجتمعات تعطي للمظهر الخارجي الأولوية على ما سواه.

وقال علي الرميثي مدير تلفزيون دبي تعليقا على البرنامج: «يأتي إطلاق هذا البرنامج ليؤكد على خصوصية تلفزيون دبي وتميزه عن باقي القنوات الأخرى في السباق لشراء حقوق الفكرة العالمية للبرنامج، المبنية أساسا على أهمية التواصل مع المجتمع كجزء من الرسالة المجتمعية للمؤسسات الإعلامية، والتي يعتبرها تلفزيون دبي بمثابة رسالة إنسانية قد تساعد في تخفيف وطأة الظروف القاهرة على بعض فئات المجتمع».

ولا تقتصر أهداف برنامج «غيرلي حياتي» على تغيير وتجميل المظهر الخارجي للمشاركين، وإنما يسعى البرنامج أيضاً إلى تحسين حياة هؤلاء وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، مما يمكنهم من العودة لممارسة حياتهم الشخصية والعملية بثقة عالية.

ويتم اختيار المشتركين في البرنامج وفقاً لنسبة التشوه ومدى مأساوية القصة التي عانوا منها والتي حدت من قدرتهم على التعامل مع الآخرين بشكل طبيعي.

وحول أحقية نسخ البرامج العالمية وتعريبها قال الرميثي: «يحمل برنامج «غيرلي حياتي» مضامين إنسانية نبيلة، ونحن نرى فيه مساعدة اجتماعية بطريقة غير مباشرة، ومن هنا فإن اختيار برامج عالمية مثل هذه ونقلها على الشاشات العربية هو حق مشروع، خاصة إذا كانت تلك البرامج تتوافق مع السياسة الرقابية والإعلامية، وتتماشى مع قيم ومبادئ المجتمع».

وأضاف في هذا الصدد: «تحدث بعض أفكار البرامج العالمية نقلة نوعية للبرامج العربية، لكن ذلك لا يمنع أن العديد من البرامج العالمية قد تخالف ما هو متبع وتضر بشكل أو بمضمون البرنامج المقدم في رسالة المؤسسة، ونحن في تلفزيون دبي نعمل جاهدين إلى انتقاء الأفضل والأصلح لمجتمعنا».

ويعرض البرنامج على مدى ثلاثة عشر أسبوعاً، حيث سيتم عرض حلقات البرنامج في الساعة العاشرة من مساء يوم الاثنين من كل أسبوع. وسيعالج المشتركون في البرنامج من قبل طاقم متخصص من الأطباء في أفضل المستشفيات في لبنان، كونها تشتهر بخبراتها الطويلة في عمليات التجميل في منطقة الشرق الأوسط.

فضائيات

اتسع الفضاء فضاقت الحرية وكل العالم أصبح كوريا!

توفيق رباحي*

■ يبدو انها امة تستهلك من الكلام والصور اكثر مما تستهلك من الخبز والماء. والدليل مئات القنوات التلفزية التي تنطلق من مدينة الاعلام في دبي وحدها. هو خلل في حياة الناس، لكنه ليس عيبا. في الغرب، بريطانيا مثلا، قد يكون الحال اسوأ من عندنا. يدخل التلفزيون في حياة الاسرة، بين الزوج وزوجته، الاب وابنته، ناهيك عن تغلغله في المجتمع. من الآن تتحدث الصحف عن برامج التلفزيون في اعياد الميلاد، اي قناة تحضّر ماذا، وتوقعات بنسب المشاهدة وغيره. وفي الايام الاخرى لا يمر يوم واحد دون ان تقرأ في الصحف عن التلفزيون اكثر مما تقرأ عن رئيس الحكومة والملكة اليزابث الثانية. ربما هناك فرق في كون التغلغل هنا، خارج الازمات المحلية والعالمية الكبرى، اغلبه فني اجتماعي له علاقة بالاستهلاك الاقتصادي والاجتماعي، بينما لا زالت شرائح واسعة منا، حكاما ومحكومين، تربط التلفزيون بالسياسة.

والسياسة هي المشكلة. لاننا شعوب لا تمارس حقوقها السياسية كاملة في الواقع، رحنا نمارسها عبر شاشات التلفزيون من خلال الاستمتاع ببرنامج ما، او من خلال اتصال هاتفي للتعليق بكلمة او جملة (غالبا ما يحرمك المذيع من اتمامها).

هذا ما يجعلنا نصدّق ونستمتع بالكلام القائل ان الحدود سقطت امام الصورة والكلمة، وان الرقيب (العربي طبعا) الذي يلجم الرأي الحر استسلم امام قوة الصور والاخبار العابرة للقارات. وكثيرون منا يتشفون في حكام وملوك لجّموا الاعلام المحلي فجاء من ينكد سكينتهم من الخارج. وقد يكون هذا «المنكّد» جارا.

غير ان كثيرا من الاحداث تثبت، باستمرار، ان الفضاء ليس مفتوحا ولا هم يحزنون. يمكن الجزم بالعكس تماما، بقدر ما اصبح الفضاء مفتوحا وانتقال الصورة والكلمة اسهل، بقدر ما سهلت مراقبتهما وحصارهما.

وليعد من انتابه شك الى ارشيف ذاكرته في الاسابيع الاخيرة ويتذكر كم صورة حية ومفيدة شاهد من داخل كوريا الشمالية. ووليتابع مسؤولو القنوات الفضائية العالمية القنوات المنافسة ويسجلوا كم واحدة لديها مراسلون في بيونغ يانغ او اية مدينة داخل هذا البلد اللغز.

يحدث هذا رغم ان كوريا الشمالية وضعت نفسها في قلب الاحداث العالمية باقدامها على اخطر مغامرة على الاطلاق باجراء تجربة نووية. وبرغم انها، جغرافياً، محاصرة باعتى قوى تكنولوجية فوق الارض: اليابان وكوريا الجنوبية والصين. فكيف حدث انهم جميعا عجزوا عن افادة العالم بشيء ما من داخل البلد اللغز.

واذا ما اراد قائل القول ان كوريا الشمالية حالة خاصة بالنظر الى طبيعة حكمها السياسي المجهول للعالم، وبالتالي لا يمكن القياس عليها، اقول ان هناك نماذج اخرى لكوريا الشمالية في منطقتنا: احداث التفجيرات التي تحدث في السعودية ممنوعة على العالم الا من خلال قناة «الاخبارية» الحكومية. وهذه، عندما تصوّر، لا تفعل كمؤسسة اعلامية تهمها الحرفية، بقدر ما تتصرف كجزء من فريق التحقيق او من الكتيبة العسكرية التي تلاحق هذه الجماعة «الضالة» او تلك. واستطيع ان اجزم ان صور «الاخبارية» لا تخرج للدنيا الا بعد «معالجتها» وغربلتها محليا باشراف (على الاقل بعلم) الجهات الامنية. والحجة هنا بسيطة وتجد من يتقبلها بسهولة: الحرص على عدم ازعاج عمل المحققين والقوى الامنية في الميدان بنشر وصور ومعلومات يستفيد منها «الضالون».

ولا يختلف الامر مع سورية. عندما يقع حدث امني، يلتقط التلفزيون السوري صورا تشبه صور «الاخبارية»، صور تزيد من الاسئلة بدل ان تقدّم اجوبة.

ولسوء حظ رافضي هذا الامر الواقع، بامكان اية حكومة ان تتصرف مثل سورية والسعودية. لا شيء يمنع المغرب او الجزائر او باكستان او اي كان من فرض هكذا شيء. من السهل القول، اذاً، اننا امام ثنائية طريفة: عندما «انفتح» الفضاء «انقفلت» الارض. فالواقع الكوري والسوري والسعودي المذكور آنفا على سبيل المثال، فرضه «إقفال» الارض. اذاً، المشكلة الان في الحصول على الصورة او الخبر لا في انتشارهما. الانتشار ممكن باكثر من وسيلة ومتاح باكثر من اسلوب، من السرقة بكل انواعها، الى الاتفاقات بين المؤسسات والافراد والهيئات.

لعلكم تذكرون ان في تفجيرات 2001/9/11 شاهد الناس صورا (اولى) على شاشات تلفزيون تتزاحم فيها اللوغوهات (الرموز) مثل تزاحم السيارات بشوارع القاهرة، وتتداخل اصوات المترجمين كأنه مولد. سبب هذا ان مصدر الصورة واحد ومستعملوها الف.

وحتى الفضاء، لا يصدّق انه «مفتوح» (او سايب) الا من يعانون من قصور في الذاكرة وغاب عنهم ان قناة «المنار» اللبنانية، مثلا، ممنوعة في اوروبا الشمالية وامريكا بقرار سياسي اتخذته اعتى الديمقراطيات. اناس بيدهم القوة خضعوا لابتزاز مجموعات بعينها فحكموا، نيابة عن ملايين المشاهدين، بان هذه القناة «معادية للسامية» فقرروا منع وصولها الى بيوتهم ليحكموا بانفسهم. وسمحت لهم قوتهم باضفاء شرعية على قرارهم لا يصدّقها تلميذ في الابتدائي.

الامر ينسحب ايضا على الذين اعتقدوا ان الانترنت تصل كل مكان غصبا عن اي كان. هنا اوجهكم الى رئيس تحرير هذه الصحيفة لتسمعوا منه الكلام اليقين، العكس تماما، كيف تتفنن حكومات عربية في حجب موقع الصحيفة بعد منعها من التوزيع التقليدي. من طرائف الامور ان كلمة «انترنت» اصبحت تلازمها «رقابة». فكلما ذكر الاخصائيون الانترنت اضافوا كلاما عن اين هي مسموحة واين هي مقبولة وما طرق حظرها واساليب التحايل عليها. وكي يأخذ الامر طابع الجدية اكثر، استضافت اثينا (اليونان) الجمعة الماضي مؤتمرا دوليا عنوانه «الانترنت والرقابة».

وازيد ان شركة «ياهو» العملاقة تتعرض لحملة انتقادات من مدافعين عن حرية الرأي والكلمة، منهم «صحافيون بلا حدود» بسبب تواطؤها المزعوم مع الحكومة الصينية في التضييق «تقنيا» على مستعملي الانترنت المناوئين (للحكومة).

ما الذي يجمع الشامي على المغربي، «ياهو» وما ترمز له من حرية جامحة، بالصين ومتناقضاتها الكثيرة؟

تجمع بينهم المصلحة. الصين سوق ضخمة من مليار مستهلك، و«ياهو» عملاق لن يسمح لنفسه بمعاكستها بمغامرة من شأنها تضييع سوق بهذا الحجم. لو فعلت، سيأتي منافس اخر ليملأ الفراغ. ولتذهب الحرية والشعارات الاخرى الى الجحيم. الشعارات والكلام الجميل ذخيرة من لا قوة لهم. ستتشدق امريكا والغرب باجمل شعارات الانسانية طالما لا تتعرض مع مصالحها المادية والتوسعية (بكل المفاهيم). عندما تتعارض، كلام اخر.

الحجاب كموضة اعلامية

■ الحديث عن الحجاب موضة اعلامية ـ تلفزيونية هذه الفترة. عندما شعرت «بي بي سي» انها ليست طرفا قويا في الجدل، طلع احد مسؤولي قطاعها الاخباري ليقول لـ«صنداي تلغراف» انه لا يمانع ان تقدّم سيدة محجبة نشرات الاخبار بها، فقامت الدنيا جدلا بين «المختصين».

قبل ايام بثت «الجزيرة» برنامج «منبر الجزيرة» مخصصة اياه لـ«تسييس» الحجاب. مرت ساعة كاملة تحدث خلالها اناس من كل اصقاع الدنيا. انتهى البرنامج وليس بين المتحدثين امرأة واحدة، كأن الرجل هو المعني بلبس الحجاب. صدقت احلام مستغانمي عندما قالت «اولى بكم ان تتحدثوا عن تحرير الرجل» ردا على سؤال عن «تحرير» المرأة.

لويزة هي الرجل الوحيد!

■ عن النساء ثانية: بيت حانون نكبة اخرى. صور مظاهرات نساء البلدة الاسبوع الماضي (واضطهادهن وقتلهن برصاص الاحتلال) بيّنت لمن بقي في قلبه شك ان ذكور هذه الامة ارخص من ان يُساوَموا. وان رجالها الحقيقيين هم نساؤها.

سئل القيادي الاسلامي الجزائري علي بلحاج مرة، في ذروة بريقه السياسي، فقال مازحا «الرجل الوحيد في هذا البلد هي لويزة حنون» المناضلة اليسارية المتشددة قبل ان تخسر رصيدها السياسي والنقابي لاحقا.

---

* كاتب من اسرة «القدس العربي»
toufik@alquds.co.uk

وارضيات